حصن القادسية في سامراء
دراسة وصفية آثارية

The Qadisiyah Fort in Samarra: A Descriptive Archaeological Study

أ.م.د. رجوان فيصل الميالي
جامعة القادسية
كلية الآثار

Asst. prof. Dr. Rajwan Faisal Al-Miyali
University of Qadisiyah
College of Archaeology

حصن القادسية في سامراء
دراسة وصفية أثارية

الملخص:

عنى هذا البحث بدراسة وتوثيق واحد من المعالم الأثرية المهمة هو حصن القادسية في مدينة سامراء، وقد ناقش البحث تاريخ بناء هذا الحصن المثمن، والذي ظهر أنه من منشآت العصر الساساني، واستمر استخدامه في العصور الإسلامية المبكرة والوسطى والمتأخرة، وعلى ما يبدو قد جرت عليه مراحل عدة من التجديد والتعمير خلال العصور الإسلامية المتلاحقة، كما سلط البحث الضوء على جميع التفاصيل المعمارية الخاصة بهذا الحصن عبر استخدام التقنيات الالكترونية الخاصة بذلك، ومنها GIS والمخططات والمجسمات، وقد ناقشنا في البحث الاراء التي تحدد وظيفة هذا المعلم الاثري وعلاقته بالابنية الأخرى المشابهة له.

الكلمات المفتاحية:

سامراء، حصن القادسية، العمارة، الاثار.

The Qadisiyah Fort in Samarra: A Descriptive Archaeological Study

Abstract:

This research focuses on the study and documentation of one of the important archaeological landmarks, Al-Qadisiyah Fort in the city of Samarra. The research discussed the history of the construction of this octagonal fort, which appears to be from the Sassanid era, and its continued use in the early, middle, and late Islamic periods. It seems that several stages of renovation and reconstruction were carried out during successive Islamic periods. The research also shed light on all the architectural details of this fort using electronic techniques such as GIS, plans, and models. The research discussed the views regarding the function of this archaeological landmark and its relationship with other similar buildings.

key words:

Samarra, Qadisiyah Fort, Architecture, Archaeology.

المقدمة:

ع د التصد للكتابة ف البحوث الم دان ة الخاصة بدراسة وتوث ق الأوابد المعمار ة من المهام الصعبة على الباحث، لاس ما إذا كان الأمر تعلق بمدانة كب رة واسعة الاطراف ممتدة على مساحة جغراف ة كب رة مثل سامراء الت تعد من أمهات المدن الإسلام ة والت لم تكتشف بشكل واضح لحد الان، ح ث مازال كث ر من معالمها وأثارها لم تكتشف ولم تتناولها معاول المنقب ن ولا أقلام الباحث ن، وتكمن أهم ة البحث أن ه ادرس خصائص موقع أثر كب ر وفر د من نوعه من ح ث الشكل والوظ فة، إذ عد النموذج الوح د ف عمارة القلاع والحصون ف العراق بشكله المثمن، وهذه الخاص ة كاف ة أن تعط ه الاهم ة اللازمة لدراسته والبحث ف جذوره وأصوله، وكذلك تار خه ووقت تش د بنائه، وماه الاصلاحات والتجد دات الت مرت عل ه خلال العصور السابقة للأسلام والعصور الإسلام ة، ولاس ما بأن الكث ر من الباحث ن والمؤرخ ن تناولوا ف مؤلفاتهم هذا المعلم الاثر ولكن لم تنفرد له دراسة مستقلة تفص ل ة تم ط اللثام عن كل ما تعلق به وبتار خ بنائه ومقارنته مع النماذج الأخرى سواء ما كان منها ف داخل العراق أو خارجه.

المحور الأول:

الموقع والتاريخ: ق ع حصن القادس ة جنوب مدانة سامراء بمسافة (١٤كم)، وفق احداث: «340106159,43,95785,13 بعد عن مركز مدانة سامراء مسافة (١١كم)، (الخر طة رقم -١)، وقال عن موقعه المهندس أحمد سوسة ما أت: «ق ع حصن القادس ة ب ن مجرى نهر القائم (المجرى الص ف للنهروان) ومجرى الصنم (المجرى الشتو للنهروان)، أما ال وم ف ق ع ب ن مجرى القائم ودجلة لأن نهر دجلة محا معالم نهر الصنم نت جة تحول عق ق نهر دجلة نحو الشرق»[١]

كما حدد موقعه أحد المؤرخ ن المعاصر ن قائلا: «إن موضع حصن القادس ة «سوم ر» مثمن الاسوار ف الزاو ة المحصورة ما ب ن نهر دجلة غربا ومجرى نهر القاطول القائم جنوب مدانة سامراء الحال ة بمسافة خمسة عشر ك لو متر»[٢]. ووصف موقعه خطأ من

(١) للمز د من التفص ل انظر: سوسة، أحمد، ر سامراء ف عهد الخلافة العباس ة، ج١، ص٢٤٨.

(٢) السامرائ، مج د ملوك، سامراء وتطورها

العدد الحادي عشر
السنة السادسة
١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

قبل بعض الباحثين بما نصه: «أظهرت التنقيبات الاثارية سورا مثمن الشكل يقع غرب مدينة المعتصم بالله»[١] وسارت على نفس المنوال باحثة من المملكة العربية السعودية قائلة «يقع سور القادسية غرب سامراء»[٢] الخريطة رقم -٢)

ويلاحظ أن دائرة الاثار والتراث ذكرت في إحدى تقاريرها ما يأتي: «إن القادسية تقع بين نهر القائم ونهر دجلة، وفي طرفها نهران مشتقان من القائم يصلان بينه وبين نهر دجلة، وهذا بعيد عن الواقع؛ لأن نهر القادسية المذكور كان يأخذ مياهه من القاطول الكسروي الأعلى، وبعد أن يقطع المنطقة التي بين القاطول الأعلى والقاطول الاسفل (نهر القائم) يعبر من فوق نهر القائم ثم ينقسم على فرعين: فرع ينتهي إلى داخل حصن القادسية، والفرع الاخر يصب في نهر الصنم»[٣]، وقد ذكر الدكتور طاهر العميد ما يأتي: «يتفرع نهر الصنم من نهر دجلة في نقطة على بعد ستة كيلو مترات تقريبا من جنوب مدخل مجرى نهر القائم ومن أمام حصن القادسية مباشرة»، ويصفه أيضا قائلا: ليس من شك في أن موضع التقاء فرع النهروان (الصنم والقائم) يؤلف مكانا عسكريا مهما نظرا للظروف الراهنة التي رافقت إنشاء مشروع النهروان»[٤].

هذا العدد الكافي من الانهار التي تحيط بموقع الحصن يعطيه حصانة ومنعة أكبر؛ لأن الانهار تعد من العوائق والمصدات الطبيعية التي تؤدي وظيفة الحماية والاستحكام؛ لذلك أخذ المعمار على عاتقه اختيار الموقع بهذا المكان المحصن.

ومما يزيد الاهمية العسكرية للموقع

الحضاري، ص٣٨.

(١) لابد من الإشارة إلى أن المؤرخ المصري أحمد عبد الباقي قد توهم في قوله أن حصن القادسية أظهرته التنقيبات، بل هو بالاصل ظاهر للعيان، ولابد من التنويه هنا أن حصن القادسية يقع غربي القاطول وليس سامراء، للمزيد من التفصيل عن هذا الخطأ ينظر: عبد الباقي، أحمد، سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، ج١، ص٢٩.

(٢) للمزيد من التفصيل ينظر: الله يابي، نجوى محمد رجاء، المنشآت العامة في مدينة سامراء في الفترة من (٢٢١ - ٢٧٩هـ / ٨٣٦ - ٨٩٢م)، ص١٨٤.

(٣) للمزيد من التفصيل ينظر: السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج١، ص٢٧١.

(٤) للمزيد من التفصيل ينظر: العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء، ص٢١-٢٢.

وجوده على الطريق الرئيس بين بغداد وتكريت والموصل، ثم إلى خارج البلاد، وقد ذكر المؤرخ البلداني المقدسي حول موقع حصن القادسية قائلا: «من بغداد إلى البردان برادان، ثم إلى عكبرا مرحلة ثم إلى باحمشا نصف مرحلة، ثم إلى القادسية مرحلة، ثم إلى الكرخ مرحلة، ثم إلى جبلتاه»[١]، وقد ذكرها ابن قدامة فقال: «من القادسية إلى الكرخ خمسة فراسخ»[٢]، ووصفت بأنها «قرية كبيرة من نواحي الدجيل بين حربى وسامراء»[٣] الخريطة رقم -٣)

أما عن تاريخ بناء الحصن فهو محل خلاف بين الباحثين سواء العراقيين أو الاجانب، فقد وردت الكثير من الاشارات والنصوص التاريخية والاثارية عن بنائه إلا أنها غير متفقة مع بعضها؛ إذ ذكر أحد أفراد الجيش الرومان المؤرخ أميانوس مرقلينوس في القرن الرابع الميلادي المرافق لحملة جوليان ضد الحكم الساساني في العراق فقال ما نصه: «قتل في جناحنا الايسر ثلاثة من أشجع الجند، وهم أولبان ومكروبوس وملكيموس، وهم رؤساء الفرقة التي كانت في مقدمة الجيش كله وما أن تم دفنهم على ما سمحت به الظروف وأرخى الليل سدوله إلا سرنا في سرع سريع نحو حصن يدعى سومير»[٤].

وكذلك نوه إلى هذا الحصن في غير موضع المؤرخ الاغريقي زينفون في كتاباته في القرن الرابع قبل الميلاد فقال ما نصه: «أوبس مدينة عظيمة «واظن ان أوبس هي أمتداد واحد مع موقع القادسية (سيناس)، وحسب وصف الاستاذ فؤاد سفر بأن هذه المدن هي في منطقة القادسية أو بالقرب منها»[٥].

وقد أشار السيد أحمد سوسة إلى هذا المعنى فقال الاتي: «إن تسمية وتاريخ القادسية قديمة، فبعضهم يرى أنها مدينة كارهاية القديمة، أو مدينة أبيماء، وعلى كل حال إن المرجح عندنا ان تاريخ إنشاء

(١) للمزيد من التفصيل ينظر: المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٣٤-١٣٥.

(٢) السامرائي، مجيد ملوك، سامراء وتطورها الحضاري، ص٣٨.

(٣) العلي، صالح أحمد، سامراء دراسة في النشأة والبيئة السكانية، ص٧٨-٨٠.

(٤) مرقلينوس، أميانوس، العراق في القرن الرابع الميلادي، ص٥٠-٥٣.

(٥) زينوفون، حملة العشرة الاف "الحملة على فارس"، ص١١٣و٣٨٤.

القادسية ترجع إلى عهود قديمة، وقد توسعت المدينة بعد أن أنشأ الرشيد قصره فيها وشرع في إنشاء مدينة هناك، ومن ثم نزول المعتصم فيها وإنشاؤه بعض الابنية هناك قبل ان ينتهي إلى مكان سامراء»[١]، وتابع المستشرق الفرنسي الذي زار القادسية سنة ١٨٣٤م قائلا: «ابلغ نهر دجلة أعلى مستوى له تقريبا على طول الضفة الممتدة والمتعامدة على ٤٥درجة والجنوب الشرقي هناك تقف حصن القادسية الساساني القديم»[٢].

لاسيما أن الساسانيين قد عملوا مشاريع ري كثيرة، ومن الطبيعي ان يحتاجوا إلى حمايتها، حيث يشير أحد الباحثين إلى هذا الشأن قائلا: «إن مشروع الري في النهروان وغيره من المشروعات المهمة الأخرى قد أسست وأعيد تنظيمها في العهد الساساني»[٣].

(١) سوسة، أحمد، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج١، ص٢٤٧.

(2) JOHN ROSS, M.D. , Journey from Baghdad to the Ruins of Opis and the median Wall in 1834. attached to the Residency at Baghdad. (See the Map of the Route to A1 Hadhr.) p.127

(٣) للمزيد من التفصيل عن الجهود الاروائية في العراق خلال العصر الساساني انظر: الدوري، طعمة وهيب، العصر الساساني أحوال العراق الاقتصادية ٢٢٤-٦٥١م، ص٦٩.

وقد ذكر اليعقوبي ما نصه: «إن الخليفة المعتصم العباسي أقام مدة في القاطول ومن ثم أصلح المواضع هناك، فصار النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة وأكون البناء على دجلة على القاطول فابتدأ البناء وأقطع القواد والكتاب، والناس بنوا حتى ارتفع البناء»[٤].

وقد ذكر المنقب البريطاني تونيولكنسن (**T. J. Wilkinson**) عندما اجرى مسحا أثريا في عام ١٩٨٩م في منطقة القادسية قائلا ما يلي «إن مدينة القادسية تقع مقابل ضفة نهر دجلة، وهي تعود إلى العصور الساسانية والإسلامية، وتابع وكلنسن في الصفحات الأخرى من تقريره قائلا: خلصنا في تقريرنا الاخير إلى أن المثمن في القادسية مثل مدينة القصر التي بنيت من قبل هارون الرشيد»[٥]

بينما نجد المنقب روبن فلكتر

(٤) للمزيد انظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، البلدان، ص٥٦-٥٧.

(5) T. J. Wilkinson, Survey and Excavations at Samarra 1989 , British **Institute for the Study of Iraq,1989, p.122-131**

(Robin, Falkner) الذي اجرى مسحا ميدانيا في منطقة القادسية عام ١٩٨٦م قائلا: «تم الكشف والمسح على موقع القطع الزجاجية في القادسية على نطاق واسع؛ إذ تم فحص أكثر من (١٠٠٠٠ عشرة الاف كسرة من الزجاج) بمساحة تقدر بـ (١٢٨٠٠ اثني عشر الف متر مربع)، وقد أظهرت نتائج المسح بأنها تعود إلى العصر الساساني والعصور الإسلامية الوسطى وربما لأواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. كما ذكر(Robin, Falkner) بأنه تم مسح الحصن من داخله، حيث أشارت الأدلة الآثارية بشكل آمن ومطمئن بأن الزجاج الإسلامي أقل انتشارا مقارنة مع خارج الحصن»[1].

بينما نلاحظ المنقب الالماني هرتسفيلد له رأي اختلف عن البقية، علما انه الذي نقب أكثر من ٣٠ سنة في سامراء، حيث قال نقلا عن باحث من المملكة العربية السعودية خالد ناشف الاتي: «ان مثمن القادسية هو بداية المدينة التي بناها الخليفة المعتصم عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م أي السنة التي سبقت تأسيس سامراء إلا ان الاختلافات في البناء جعلتنا نعتقد ان المثمن من المحتمل ان يكون هو المدينة أو القصر الذي شيده هارون الرشيد وهجرها عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، بينما تمثل المباني الواقعة شرق المثمن تجديدات المعتصم»[2]

وقد أوضح المنقب الستر نورتش من خلال جداول وضعها في إحدى اجزاء موسوعته عن اثار سامراء، وهي عبارة عن ثلاثة جداول قسم فيها عصور الفخار المكتشف في موقع القادسية، «إذ اختص الجدول رقم (١) بالفخار الذي يعود إلى العصور الإسلامية الوسطى خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (الشكل رقم - ١)، بينما كان الجدول رقم (٢) يحتوي على الفخار الذي يعود إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (الشكل رقم - ٢)، في حين جاء الجدول رقم (٣) حاويا على الفخار الذي يعود للقرنين الثالث عشر والرابع عشر

(1) Robin, Falkner, Survey and Excavations at Samarra 1989 , British Institute for the Study of Iraq , 1986, p,134.

(2)KHALEDNASHEF,ArchaeologyinIraqArchaeologicalInstituteofAmerica ,American Journal of Archaeology, Vol. 94, No. 2 (Apr, 1990), pp. 284-289

المالان (الشكل رقم -٣)»[١].

وبناء على ما تقدم، وبعد الاطلاع على الاراء التي درست تاريخ بناء الحصن، تبان أن هناك اختلافا وتباينا كبيرا وفروقات واضحة بالتواريخ، حيث نجد فريقا ينسبه إلى العصور السابقة للإسلام كالعصران الاخمين والساسان، والفريق الاخر يرجع بتاريخ بنائه للعصور الإسلامية، منقسمان فيما بينهم بين عصر هارون الرشيد(١٧٠ -١٩٣هـ) والمعتصم العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ)، وهنا لابد من الرجوع إلى الادلة الاثرية التي من شأنها أن تقترب من الحقيقة والنقاش والاختلافات بين الفريقين، أقول: إن الحجم والمساحة التي شغلها بناء الحصن يعود بشيء من صحة الاراء التي تتحدث على أنه من منشآت العصر الساساني؛ كونه يتطابق مع بعض النماذج الساسانية، ثم إن اللبن الذي بني به حصن القادسية أقرب إلى أحجام اللبن والاجر الذي استعمله الساسانيون في أبنيتهم منه إلى أحجام اللبن أو الاجر الذي استخدمه العرب المسلمون فإن اللبن الموجود في حصن القادسية ذي القياس (٤٧×٣٠×١٥سم) هو مشابه للبن الموجود في قلعة النار[٢] وكذلك يوجد تشابه بين الحصن موضوع البحث وقلعة الزندان[٣]، حيث يصح لنا المقارنة بين النموذجين؛ للتشابه الوظيفي الكبير بينهما، لذلك نظن أن حصن القادسية على وفق تلك المعطيات بني في العصر الساساني ورمم وجدد مرة اخرى

(1) Alastair , Northedge , the Historical Topography of Samarra , Samarra Studies 1 ,British school of archaeology in iarq , foundation Max fan Berchem , 1977 , p.p. 85-86-87.

(٢) في قلعة ساسانية قديمة في شرق العظيم مسورة بسور مربع طول ضلعها (٥٥متر) بنيت باللبن ذي الابعاد (٤٥×٤٥×١٥ سم)، للمزيد من التفصيل عن قلعة النار انظر: سوسة، أحمد، ر سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج١، ص٢١٤، وانظر: خماس، أحمد عبد الجبار، دليل المواقع الاثرية والتراثية في محافظة ديالى، ص٦٨.

(٣) تعد قلعة الزندان من أكبر المواقع الأثرية الشاخصة في محافظة ديالى، وتقع على بعد(١٢ كم) إلى الجنوب من قضاء المقدادية، القلعة ذات شكل مستطيل من الخارج ومحصن بجدران سميكة مبنية من الاجر، وارجع تاريخ بنائه إلى العصر الساساني بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، المادة الرابطة بين صفوف الاجر بيضاء وقوية جدا، وللزندان عدة مسميات أطلقت عليه، منها قلعة الزندان، زندان كسرى، قلعة خسرو أو قصر الشاهاناز.للمزيد من التفصيل عن قلعة الزندان انظر: الموقع الاثرية في العراق، ص١٠٠.

في العصر العباسي خلال خلافة هارون الرشيد وأجريت عليه كثيرا من التعديلات والاضافات التي سنأتي على ذكرها لاحقا وخصوصا المسجد الذي اعطى للحصن طابعا أسلاميا، ولابد من الاشارة هنا إلى أن مبنى معسكر الاصطبلات[1] الواقع بالقرب من القادسية الذي شيده المعتصم العباسي جعلنا نظن بأن من الصعوبة بمكان تشييد مبنيان متشابهان بالوظيفة في أن واحد في زمن المعتصم العباسي، وإنما يكون حصن القادسية من منشآت هارون الرشيد، وما يدعم ويؤكد هذا الرأي هو مقارنته ببعض الابنية الإسلامية المشابهة له من حيث الحجم وعدد الابراج، مثال على ذلك حصن هرقلة[2]، (الشكل رقم - ٤)

(١) للمزيد من التفصيل عن موقع معسكر الاصطبلات وأهميته انظر: يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٢) هرقلة: بالكسر، ثم الفتح: مدينة ببلاد الروم فتحها الرشيد وسبى أهلها، وكان في السبي ابنة بطريقها، فنودي عليها في المغنم، فاشتراها صاحب الرشيد، فصادفت منه محلا عظيما، فنقلها معه إلى الرقة، وبنى لها حصنا بإزاء بالس والرقة على الفرات، وسماه هرقلة، وبقي عامرا مدة، ثم خرب وبقي منه آثار عمارة وأبنية عجيبة، وهو قرب صفين من الجانب الغربي، للمزيد من التفصيل عن حصن هرقلة انظر: البغدادي،

المحور الثاني:

الحصن في كتابات الرحالة والمستشرقين:

وصف الحصن من قبل الكثير من الرحالة والمستشرقين، ولابد من الاشارة هنا إلى أن أغلب الاوصاف والكتابات التي تناولته ذات طابع أثاري يميل إلى ايجاد أبعاده وأوصافه المعمارية والاثارية، لذا من المستحسن أن نطلع على بعضها؛ لأنها تغطي بعضا من الجوانب الاثرية والتاريخية والجغرافية:

وصفه الرحالة جان أوتر عام (١٧٣٦م) عندما مر به قائلا ما نصه: «على بعد ستة أيام من الموصل بنى شاهبور بن أردشير بابك قلعة مهدمة، وتخرج من الجنوب الشرقي لنهر دجلة قناة تسمى الاسحاق[3]. وجاء في رحلة المنشئ البغدادي عام (١٨٢٠م) عن حصن القادسية ما يلي: «تبعد القادسية فرسخين عن سامراء نحو جانب بغداد على شاطئ دجلة، وكانت قديما بلدة، وفي الوقت

عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣، ص١٤٥٦.

(٣) العراق والخليج العربي في رحلة جان أوتر (١٧٣٦-١٧٤٣م)، ص٦٥.

العدد الحادي عشر
السنة السادسة
١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

الحاضر ف حالة دمار تام، محاطها ثلاثة أمال، وه بلدة مدورة وأن عرض سور القادسة ١٥ قدما»[١].

وجاءت بعض اخبار الحصن ف رحلة الفرنس الكابتن مجنان عام (١٨٢٧م) قائلا ما نصه: «وطاسفون أكبر المدن السبع الرئاسة ف العراق، ومن ثم سمات بالمدائن، فمنافسوها الستة هم (القادسة وروماة والحارة وبابل والحلة والنهروان)»[٢]. ووصفه الرحالة جون فلكس عام (١٨٤٦م) قائلا: «وصلنا إلى القادسة ف الساعة السابعة وثمان وأربعان دقاقة، وف أثناء تسلامنا للخشب زرت خرائب القلعة القدامة ومدانة القادسة التا تقع على بعد نحو مال واحد من النهر، وكانت القلعة على شكل ثمانة من أبراج مستدارة وف كل زاوة بانها ست عشرة دعامة ه أجزاء ناتئة من الحصن»[٣]. وشاهده الرحالة اوستن هنر عام (١٨٥٣م) قائلا: «وهنا وهناك ارى المرء بقاا القصور قلاع اخر ملوك الفرس والخلفاء الأوائل لازال المكان اسمى بالقادسة، بالقرب منه دارت معركة عظامة»[٤]، كما مر بهذا الحصن الرحالة الجان عام (١٨٦٦م) وقال عنه الات: «مررنا بعدئذ أمام ساتاس وأفامة ثم أمام القادسة المقدسة، وه بلدة حداثة العهد نسبا؛ لأنها ترجع إلى عهد الخلفاء. وقال فها أبو الفداء انها مشهورة بورع سكانها وعمل الزجاج، وهذا الأهم ف رأا»[٥]، وجاء وصف للحصن ف رحلة ناصر الدان شاه القاجار عند وصوله مدانة سامراء عام(١٨٧٠م) قائلا ماأت: «بعد أن قطعنا أربعة فراسخ شاهدنا على الام ان قلعة خربة، لكن جدرانها وأبراجها موجودة اقولون أن اسمها جالسة وه من بناء هارون الرشاد»، وعند عودته إلى بغداد قال عنها أايضا ما نصه: «كانت القلعة خربة وجدرانها وبرجها سالم وه بحجم (أرك تهران)، وه نفسها قلعة جالسة التا ذكرتها سابقا»[٦]. وقد وصفه الرحالة

(١) البغدادا، محمد بن أحمد الحسان، رحلة المنشئ البغدادا، ص٨٩.

(٢) رحلة الكابتن مجنان عام ١٨٢٧م، ص٨٥.

(٣) جمس ف الكس، جونز أ.ان، رحلة بالباخرة إلى شمال بغداد، ج١، ص٣٤-٣٥.

(٤) لاارد، أوستن هنر، اكتشافات نانوى وبابل، ص٣٨٠.

(٥) رحلة الجان إلى العراق عام ١٨٦٦م، ص١٩.

(٦) رحلة ناصر الدان شاه إلى العراق ١٨٧٠م، العراق ف مشاهدات ناصر الدان شاه،

نقولاس وف عام ١٨٧٣م قائلا عنه: «لقد أرسنا لمضادة الرياح والملاحون اغتنموا الفرصة لنفخ القرب اللازمة، وكان ذلك بالقرب من قرية تدعى القادسية، عند الظهر ارتحلنا وبعد نصف ساعة شاهدنا في النهر قطعا كبيرة ظن أنها بقايا جسر قديم»[١].

وقال عنه الرحالة ماكس فون عام ١٨٩٣م ما يأتي: «على الضفة اليسار عند انحناء النهر الاثار الواسعة لموقع القادسية الذي كان معروفا تحت هذا الاسم منذ العصر العربي الوسيط بسبب صناعته للزجاج الملون»[٢].

ووصفته السيدة المس بيل عام ١٩١٠م وأسهبت كثيرا في وصفه والتجوال بداخل أروقته، فقالت عنه الاتي: «خرائب القادسية إنها لاشيء، مجرد جدار مفتت من الآجر المجفف تحت أشعة الشمس يحيط بمنطقة ثمانية الشكل إنه من الصعب أن أحدد فيما إذا كان هذا الفضاء مغطى بالمبان»[٣].

المحور الثالث:

تخطيط وعمارة الحصن:

الحصن عبارة عن سور مثمن منتظم الجدران سمكها أربعة أمتار، بني من الطوب اللبن والطابوق، قياس اللبنة الواحدة (٤٤×٢٧×١٢سم)، يدعمه (١٤٠ برجا) دائريا حول مساحة مثمنة الشكل (مخطط رقم – ١)، طول كل ضلع من أضلاع المثمن (٦٤٠متر)، ويدعم كل ضلع من أضلاعه (سبعة عشر برجا) يبلغ قطر البرج الواحد ثمانية أمتار، وفي السور الخارجي للمثمن فتحات تدل على أنها كانت أبوابا له، وتتراوح قطر المثمن الكلي بين الجوانب من (١٤٧٦ – ١٥٠٨متر)، بينما يرى أحد الباحثين بأن قطره (١٦٥٠ متر)[٤]، وفي داخل السور يوجد خندق مائي كبير يعد من الموانع والمصدات الطبيعية، يأخذ هذا الخندق الماء من نهر القاطول الأعلى.

ص٢٠٣-٢١٣.

(١) رحلة نقولا سوف، ص٧٣.

(٢) أوبنهايم، ماكس فون، من البحر المتوسط إلى الخليج العربي، ج٢، ص٢٧١-٢٧٢.

(٣) للمزيد من التفصيل ينظر: المس بيل، غرترود لوثيان، من مراد إلى مراد «الرحلة الكاملة لغروترود بيل، ص٣٧٤.

(٤) ينظر: حمود، خالد خليل، حضارة سامراء، ص٢٣٩-٢٤٠.

العدد الحادي عشر
السنة السادسة
١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

وقد كانت أضلاع السور الخارجي للحصن تتألف من أروقة تملأ الفراغ الحاصل بين الدعامة والاخرى إلا في الضلع الشمالي المتقابل لبوابة[1] منه توجد في وسطها زيادة في سمك الجدران لخصوصية هذه الاضلاع بمقدار خمسة أمتار ونصف متر وبمسافة (٦٤متر) من طول الضلع، علما أن المسافة بين دعامة وأخرى تسعة وعشرون مترا ونصف المتر، وارتفاع الدعامة الواحدة أربعة أمتار، (الشكل رقم – ٥)، إذ تحتوي هذه الزيادة على ثمانية حجرات أبعاد كل منها (٣، ٤٥×٣، ٦٠متر)، وقد عقدت بعقادة مدببة أو أقبية مدببة ارتفاعها (٢، ١٠متر)، وقد بني فيها اللبن بطريقة الرصف الرأسي على جانبي وعرض مداخل الحجرات بمسافة (٨٥ سم)، وسمك واجهته (١، ١٠متر) (الشكل رقم – ٦). بينما تصف المس بيل التي زارت الحصن عام ١٩٠٩م هذه الحجرات بالآتي: «هناك عشر حجرات صغيرة معقودة في الجانب الشمالي من المثمن»[2]. (الشكل رقم – ٧)، وعلى مايبدو أن عدد الحجرات كان كبيرا وأخذ يتناقص تدريجيا بمرور الوقت نتيجة لتعرضه إلى عوامل التعرية والأمطار والرياح وغيرها.

واستدل من شكل المباني في السور الخارجي الضخم للحصن أن هذه البناية كانت حصنا ومعسكرا لجيش عظيم، وهنا قد تكون الغاية من هذا البناء الكبير لأنه يؤدي وظيفة عسكرية وتحصينية، لاسيما أنه بني في منطقة واسعة ومفتوحة ينبغي أن يكون البناء بهذا الحجم الكبير حتى يؤدي مهمته بشكل يتناسب مع المنطقة المحيطة به.

المداخل: توجد في وسط كل ضلع تحيط بها دعامات ذات مخطط ربع دائري، وهي عبارة عن ممرات متفاوتة الابعاد والقياسات مستطيلة الشكل باستثناء المداخل في الجهة الغربية، وبما أن صحن الحصن كبير ومتسع وحتوي بداخله على مجموعة من الأسس البنائية المتداخلة، وهي عبارة عن مساحات متعددة مستطيلة ومربعة الشكل، حيث المداخل

(١) إن المقصود بالضلع الشمالي المتقابل لبوابة الاضلاع التي تكون في منتصف المثمن ذات خط مستقيم وغير مائلة مثل بقية أضلاع المثمن التي تتميز بأنها مائلة.

(٢) للمزيد من التفصيل ينظر: المس بيل، غرترود لوثيان، من مراد إلى مراد «الرحلة الكاملة لغروترودبيل، ص٣٧٥.

الغربية تؤدي إلى أربعة طرق للصحن والى الساحة المركزية ذات الأبعاد (٣٠٠ × ٣٢٠ متر)، بها مستطيل أبعاده (١٠٤ × ١٥٦ متر)، ومساحة مستطيلة أخرى أكبر حجما أبعادها (٣٢٠ × ٤٢٠ متر) تجاور المساحة المربعة من الجنوب فقط، إذ لا يوجد في داخلها سوى عدد قليل من المباني الصغيرة، وتلال منخفضة تحدد خطوط الطرق والساحات، المستطيل الموجود بداخلها على ما يبدو مسجد، حيث تنتشر بعض الاسس التي تشير إلى أنها أساكيب وبلاطات، أبعاد هذا المسجد هي (١٣٥×٢١١متر) وبذا يكون له المساحة ماشابه بها صحن مسجد أبي دلف[1]؛ لذا نظن بأنه كان مسجدا.

ومن المحتمل أن المستطيل الأكبر الموجود على الجانب الجنوبي من الساحة المركزية كان جزء منه قصرا؛ وهذا الأمر نجده في الكثير من المدن والقصور الإسلامية المتمثلة في بناء قصر الخليفة أو قصر الحاكم على جدار القبلة في المسجد الجامع، كما هو موجود بالكوفة والبصرة وواسط والمدينة المدورة ببغداد وفي سامراء.

أما عن المداخل التي فتحت في أسوار هذا الحصن المتبقية إلى الان فقد بلغ عددها أربعة عشر مدخلا مختلفة ومتباينة الابعاد، ومن الجدير بالذكر أن المداخل التي فتحت في جدران الحصن كثيرة جدا، لكنها تعرضت للأندثار والاندراس، حيث استشف من المصادر التي أطلعنا عليها ولامجال لذكرها هنا، أن المداخل التي فتحت في هذا الحصن تتعدى الثلاثين، أما عن المداخل التي استطعنا معرفة قياسها وأبعادها، كما ذكرنا ذلك أربعة عشر، إذ تم معرفة عرضها فقط؛ لأن الارتفاع غير موحد ولا يمثل الحقيقة؛ لأنه متهدم ومتآكل، وهي كالآتي: عرض المدخل الأول (٣، ٤٦متر)، (الشكل رقم – ٨)، عرض المدخل الثاني (٣، ٨٨متر)، عرض المدخل الثالث (٦، ٨٠متر)، عرض المدخل الرابع (٥، ٢٣متر)، عرض المدخل الخامس (٧، ٢٧متر)، عرض المدخل السادس (٩، ٧٠متر) عرض المدخل السابع (٤، ٨٥متر)، عرض المدخل الثامن (١٤، ٥٥متر) عرض المدخل التاسع (٩، ٦٣متر)، عرض المدخل العاشر (٧،

(١) يقع جامع أبي دلف بمدينة المتوكلية التي بناها المتوكل العباسي عام ٢٤٥هـ / ٨٦٠م التي تبعد عن مدينة سامراء الحالية (١٦ كم)، للمزيد من التفصيل ينظر: الجنابي، كاظم، مسجد أبي دلف، ص١٤-١٥.

٧٥متر)، عرض المدخل الحادي عشر (١٤، ٤٣متر)، (الشكل رقم - ٩)، عرض المدخل الثاني عشر (٥، ١٦متر)، عرض المدخل الثالث عشر (٧، ٧٦متر) عرض المدخل الرابع عشر (٣، ٤٠متر)، لم يتم مراعاة اتجاه المداخل؛ لأنها فتحت في شكل مثمن واصعب تحديد الاتجاهات بشكل صحيح.

أما الابراج: فقد احتوى الحصن على عدد كبير من الابراج بلغت مئة وأربعين برجا دائريا كل ضلع من أضلاع المثمن يحتوي على (١٦برجا) متفاوت المسافة، وعلى الاغلب تكون المسافة بين برج وأخر (٢٩ مترا) وفي بعض الاحيان نجد مسافة أطول أو أقل، علما أننا لم نعمد لتثبيت قياسات هذه الابراج بشكل تفصيلي؛ لأنها متآكلة، ألا أن أغلب الابراج محيطها يتراوح بين (٨-١٢ متر) وأرتفاعاتها متباينة لأنها متهدمة كما ذكرنا ذلك، ومن الجدير بالملاحظة هناك ثمانية أبراج في أركان أضلاع المثمن أكبر حجما من بقية الابراج.

الاستنتاجات:

بعد ان انتهينا من البحث فقد توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي من شأنها توضيح أهمية البحث وتزيد من رصانته، وهي كما يأتي:

١- يظهر من البحث أن مدينة سامراء ضاربة بعمق التأريخ، وقامت على أرضها حضارات متعددة في العصور القديمة والإسلامية.

٢- تبين من خلال البحث أن أختيار هذا الموقع لبناء حصن القادسية له دلالات كثيرة، منها أهمية المنطقة الجغرافية وكثرة الانهار والموارد المائية فيها مما تطلب حمايتها وحماية مدينة سامراء.

٣- تميز هذا الحصن بكبر حجمه وانتظام شكله الخارجي، وهو ما يدل على انه بذلت فيه كثير من الجهود والاموال والايد العاملة.

٤- تبين من البحث أن هذا الحصن تميز بفرادة عمارته وجوهر فكرة بنائه، وأنه يمثل مرحلة مهمة من مراحل تطور الفكر العمراني لدى المعمار المسلم.

٥- كشف لنا البحث أن الشكل المثمن الذي تميز به الحصن قد نفذ

مرت ان ف سامراء، الأول الحصن موضوع بحثنا والثان ف قبة الصل اب ة، وهذا ؤكد إسلام ة الموقع ان.

٥ اتضح من البحث أن الحصن لم ات م الاست اطان به لمدة زمن ة متصلة وطو ة؛ وذلك لعدم العثور على بقا ا فخار ة كث رة وملتقطات أثر ة على سطحه تؤكد هذا المعنى.

٦ اتب ان من البحث أن جم ع دفاعات هذا الحصن وعناصر القوة ف أسواره الخارج ة وأبراجه، أما من داخله فلا توجد سوى بعض الاسس البنائ ة الت لا توح بأنها ذات طابع دفاع أو عسكر.

المصادر والمراجع:

١. أوبنها م، ماكس فون، من البحر المتوسط إلى الخل ج العرب، ترجمة محمود كب بو، دار الوراق، ب روت، ٢٠٠٩، ج٢.

٢. البغداد، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الج ل، ب روت، ١٤١٢ هـ، ج٣.

٣. البغداد، محمد بن أحمد الحس ان، رحلة المنشئ البغداد، ترجمة عباس العزاو، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٧.

٤. جم س ف لكس، جونز أ.ان، رحلة بالباخرة إلى شمال بغداد، ترجمة عبد الهاد فنجان الساعد، دار م زوبوتام ا، بغداد، ٢٠١٣، ج١.

٥. الجناب، كاظم، مسجد أب دلف، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٠.

٦. حمود، خالد خل ل، حضارة سامراء، طبع دار الشؤون الثقاف ة العامة، بغداد، ٢٠٢٣.

٧. خماس، أحمد عبد الجبار، دل ل المواقع الاثر ة والتراث ة ف محافظة د الى، دار الشؤون الثقاف ة العامة، بغداد، ٢٠٢٠.

٨. الدور، طعمة وه اب، العصر

الساسان أحوال العراق الاقتصادة ٢٢٤-٦٥١م، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٢٠.

٩. رحلة الجان إلى العراق عام ١٨٦٦م ترجمة بطرس حداد، بغداد، ٢٠٠٩.

١٠. رحلة الكابتن مجنان عام ١٨٢٧م، مراجعة وهوامش بشار الوندا، دار الصفار، بغداد، ٢٠٢٢.

١١. رحلة ناصر الدان شاه إلى العراق ١٨٧٠م، العراق ف مشاهدات ناصر الدان شاه، ترجمة وتعلاق محمد الشاخ هادا الاسدا، مؤسسة افاق للدراسات والأبحاث العراقاة، بغداد، ٢٠١١.

١٢. رحلةنا قولاسا وفا، أعتنةبنشرها تاسر خلف، التكوان للتأالاف والترجمة والنشر، ٢٠٠٩.

١٣. زانوفون، حملة العشرة الاف «الحملة على فارس «ترجمة اعقوب افرام منصور، منشورات مكتبة بسام، بغداد، ١٩٨٥.

١٤. السامرائا، مجاد ملوك، سامراء وتطورها الحضارا، المطبعة المركزاة جامعة داالى، ٢٠١٣.

١٥. السامرائا، اونس الشاخ إبراهام، تاراخ مداانة سامراء، ساعد المجمع العلما العراقا على نشره، بغداد، ١٩٦٨، ج١.

١٦. سوسة، أحمد، را سامراء فا عهد الخلافة العباساة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨، ج١.

١٧. عبد الباقا، أحمد، سامراء عاصمة الدولة العرباة فا عهد العباسا ان، طبع دار الشؤون الثقافاة العامة، بغداد، ١٩٨٨، ج١.

١٨. العراق والخلاج العرباف رحلة جان أوتر (١٧٣٦-١٧٤٣م)، ترجمة خالد عبد اللطااف حسان، مراجعة د. أنااس عبد الخالق محمود، المؤسسة العرباة للدراسات والنشر، باروت، ٢٠١٥.

١٩. العلا، صالح أحمد، سامراء دراسة فا النشأة والباائة السكاناة، شركة المطبوعات للتوزاع والنشر، باروت، ٢٠٠١.

٢٠. العماد، طاهر مظفر، العمارة العباساة فا سامراء، دار الحراة للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.

٢١. لاارد، أوستن هنرا، أكتشافات نانوى وبابل، ترجمة محمد حسن علاوا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٩.

٢٢. اللاباا، نجوى محمد رجاء، المنشأت العامة فا مداانة سامراء فا الفترة

من (٢٢١ - ٢٧٩هـ / ٨٣٦ - ٨٩٢م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠١٥.

٢٣. مرقل انوس، أم انوس، العراق في القرن الرابع الميلادي، ترجمة فؤاد جميل، تعليق سالم الالوسي، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٨.

٢٤. المس بيل، غرترود لوثيان، من مراد إلى مراد «الرحلة الكاملة لغروترود بيل، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠٢٠.

٢٥. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع في مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريل، ١٩٠٩.

٢٦. الموقع الاثري في العراق، وزارة الاعلام، مديرية الاثار العامة، بغداد، ١٩٧٠.

٢٧. اليعقوبي، أحمد بن أسحاق، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨. يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢.

29- JOHN ROSS, M.D. , Journey from Baghdad to the Ruins of Opis and the median Wall, in 1834. attached to the Residency at Baghdad. (See the Map of the Route to A1 Hadhr.).

30 - T. J. Wilkinson, Survey and Excavations at Samarra 1989 , British Institute for the Study of Iraq,1989.

31- Alastair , Northedge , the Historical Topography of Samarra , Samarra Studies 1 ,British school of archaeology in iarq , foundation Max fan Berchem.

32- KHALED NASHEF, Archaeology in Iraq Archaeological Institute of America ,American Journal of Archaeology, Vol. 94, No. 2 (Apr, 1990).

33- Robin, Falkner, Survey and Excavations at Samarra 1989 , British Institute for the Study of Iraq , 1986.

مجلة آداب الحضارة
العدد الحادي عشر
السنة السادسة
١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م

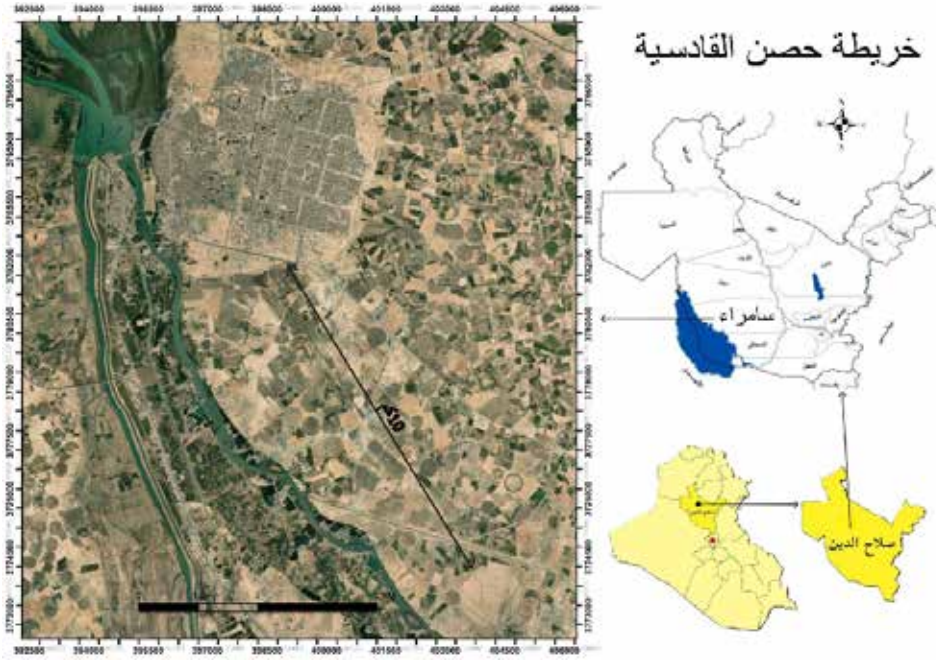

خريطة رقم (١) تبين المسافة بين حصن القادسية ومدينة سامراء

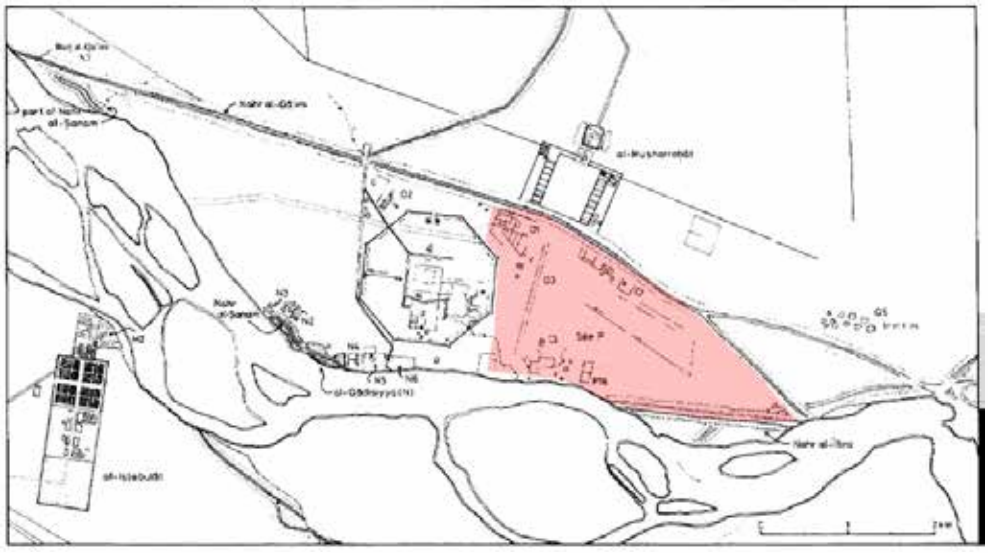

خريطة رقم (٢) تبين شكل حصن القادسية وموقعه بالنسبة لمدينة سامراء

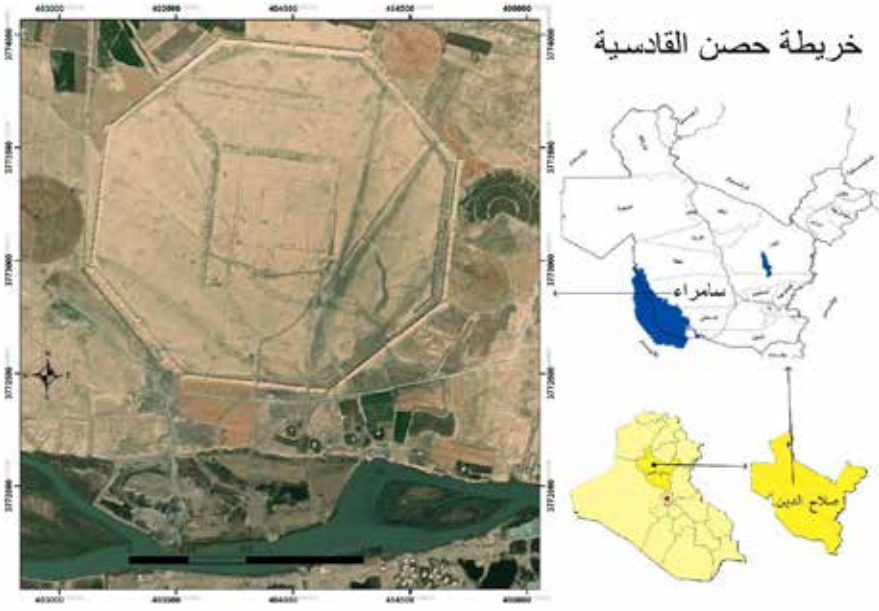

خريطة رقم (٣) تبين شكل حصن القادسية

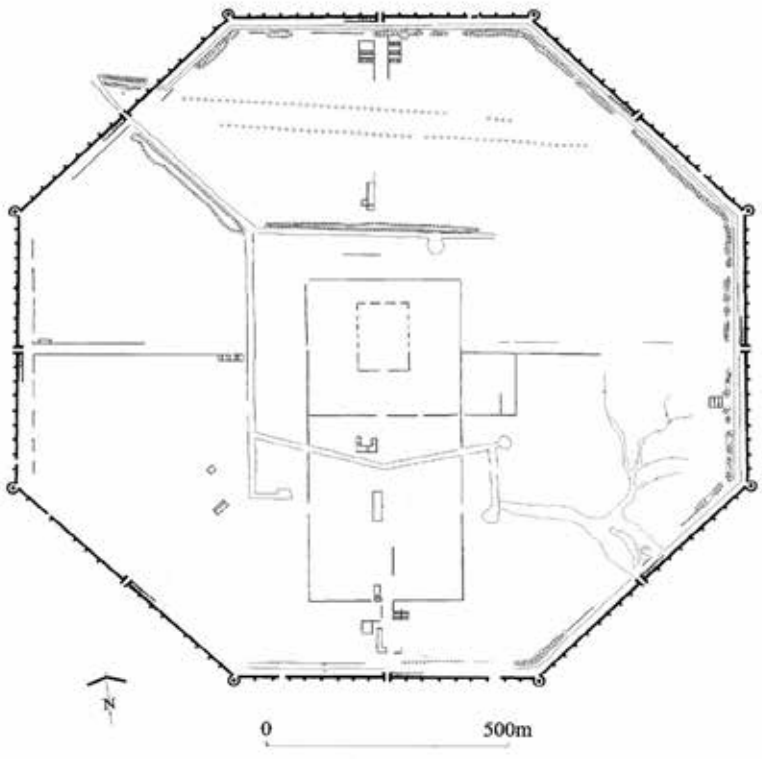

(المخطط رقم – ١)

مخطط عام يمثل التخطيط المثمن لحصن القادسية

(الشكل رقم -١)

فخار إسلامي يعود إلى القرن الخامس الهجري من حصن القادسية

(الشكل رقم -٢)

فخار إسلامي يعود إلى القرن السادس الهجري من حصن القادسية

(الشكل رقم -٣)

فخار إسلامي يعود إلى القرن السابع الهجري من حصن القادسية

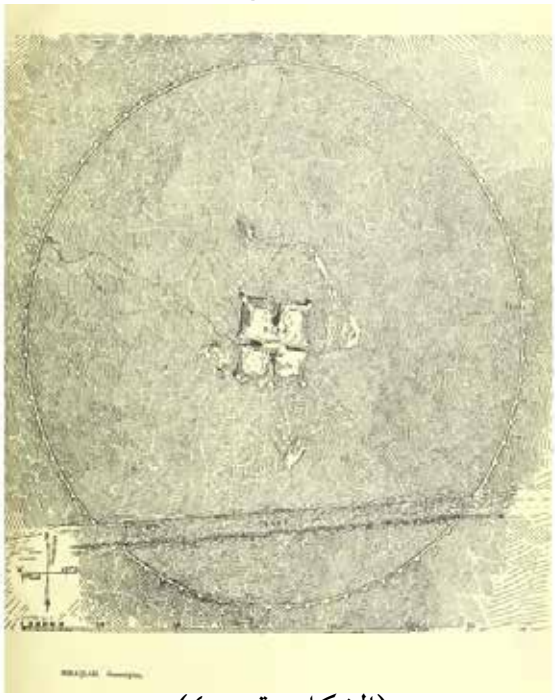

(الشكل رقم -٤)

حصن هرقلة الذي بناه هارون الرشيد في الرقة شمال سوريا

(الشكل رقم -٥)

الدعامات والابراج التي تدعم الاسوار الخارجية لحصن القادسية

(الشكل رقم -٦)

إحدى حجرات الاواوان بداخل حصن القادسية وهي مبنية باللبن والطان

(الشكل رقم -٧)

إحدى الاواوان في حصن القادسية التي تظهر بها طريقة العقادة باللبن والطين

(الشكل رقم -٨)

إحدى المداخل الصغيرة في حصن القادسية

(الشكل رقم -٩)

إحدى المداخل الكب□رة ف□ حصن القادس□ة

العدد الحادي عشر
السنة السادسة
١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م